مجلة الدراسات الفقهية والقضائية • مجلد: 06، عدد: 02 (2020م) • ص ص53 – 62
EISSN 2588-2481 - ISSN 2477-9806

# مختصرات الفقه المالكي وجهود علماء الجزائر في خدمتها

## *Briefs of Maliki jurisprudence and the efforts of Algerian scholars in their service*

بقلم

**د. عماد جراية ***

جامعة الوادي ـ الجزائر

imad4444@gmail.com

**ملخص**

يبحث هذا المقال في منزلة المختصرات الفقهية في المذهب من حيث بيان معناها ونبذة عن تاريخها من حيث الظهور والأسباب ثم بيان المواقف المتباينة منها قبولا أو رفضا. ووضح المقال دخول هذا النوع من التصنيف إلى الجزائر، وكيف كان تأثيره في الدرس الفقهي، ومدى استثماره وخدمته من قبل علماء الجزائر عبر مختلف الأزمنة.

**الكلمات المفتاحية**: المختصرات؛ المتون الفقهية؛ المذهب المالكي؛ علماء الجزائر.

**Abstract**

This article examines the status of the jurisprudential summaries in the doctrine in terms of explaining their meaning, an overview of their history in terms of appearance and causes, and then explaining the different positions thereof. This article explains the entry of this type of authorship into Algeria, and the efforts of Algerian scholars in its service.

**Keywords:** Summaries; Jurisprudential texts; The Maliki school of legal thought, Algerian scholars.

* المؤلف المراسل.

## مقدمة

أحمده سبحانه حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، وأستعينه استعانة من لا حول له ولا قوة إلا به، وأستهديه بهداه الذي لا يضل من أنعم به عليه، وأستغفره وأتوب إليه.

أما بعد:

فقد ندبنا المولى جل، وعلى للتفقه في الدين، وجعله أمانة في أعناق الأمة ؛ فقامت كل طائفة بمسؤولية حياله، واتجهت كل جماعة نحو علم من العلوم؛ بتيسير المولى جل جلاله، وتوالت جهودهم على مر القرون فحصلت نهضة واسعة وثقافات كثيرة ؛ دونت ملايين الكتب، وامتلأت الخزانات بها ؛ حتى إن المرء لتأخذه الدهشة ويعتريه الإعجاب حين يسمع، أو يرى، أو يطلع على تلك الثروة الهائلة لفقهاء الإسلام، ويزداد فرحا وغبطة بهذا التراث رغم ما لاقى من نكبات وويلات لحقت بالعالم الإسلامي.

وكان لمذهب عالم المدينة مالك بن أنس- رحمه الله- في مدارس الفقه المالكي حظ وافر، فقد انتشر في بعض أقطار المشرق، ودان به أهل المغرب قاطبة، وتوالت فيه المطولات، والمختصرات، والشروح، والحواشي، والذيول، والتقييدات...؛ وكان للمختصرات أهمية بالغة- للمبتدئ والمنتهي - في الإحاطة بالمذهب، وكان لعلماء الجزائر- حرسها الله أثر بالغ وجهودا مشكورة في خدمتها ؛ ولذا كان هذا البحث المتواضع الذي طرقت فيه المواضيع الآتية:

**أولا- تعريف الاختصار لغة واصطلاحا**

لغة : تنحصر هذه العبارة في معنيين :

1- اختصار الطريق : أيسلوك أقربه .

2- اختصار الكلام: أي إيجازه[1].

اصطلاحا : عرفها العلماء بعدة تعريفات ترجع إلى معنى واحد مفاده : التعبير عن المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة[2] .

**ثانيا- تاريخ الاختصار والمختصرات:**

الاختصار هو أحد القدرات الكلامية التي لا يتقنها كل أحد، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن نفسه بقوله: « أوتيت جوامع الكلم وخواتيمه واختصر

لي الكلام اختصارا»[3].

فيأتي بألفاظ جامعة لمعان كثيرة، وقد كان الفصحاء يتبارون في الكلام المختصر الذي يسير على ألسنة الناس، ويسهل حفظه وتداوله؛ فهذا الموطأ ألفه الإمام مالك ثم مازال يختصر فيه، ويهذب حتى استقر على حجمه المعروف بين أيدينا .

ولقد كان المحدثون يرحلون لبلاد شتى لكتابة الحديث فإذا حط عصى الرحال عمد إلى الأحاديث الكثيرة التي جمعها في رحلته، ولخصها ثم أخرجها في كتاب لينتفع به الناس، وتأمل في اسم صحيحي البخاري: « الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه» .

**ثالثا- عوامل وأسباب ظهور المختصرات** :

لقد ظهرت المختصرات نتيجة لعدة عوامل وأسباب أهمها :

1- ضعف همم الناس عن قراءة المصنفات الطويلة، مما أقلق العلماء الكبار وجعلهم يتعاملون مع الضعف بمصنفات مناسبة[4].

2- تلافي ما ضاع من كتب العلم في كارثتي المشرق والمغرب[5]، وذلك بجمع شتات العلم في قبضة اليد في صورة المتون لحماية كتب العلم حال الحروب والكوارث الطبيعية.

3- أنها سمة تظهر عندما يصل علماء المذهب إلى قناعة فكرية بأن اجتهادات علماء المذهب السابقين لم تترك مجالا لمزيد من الاجتهاد إلا أن يكون اختصارا أو اختيارا أو شرحا .

4- طلب الخلفاء كما فعل الخليفة العباسي القادر بالله حيث طلب من أئمة المذاهب الأربعة في زمانه أن يصنف كل واحد منهم مختصرا في مذهبه، ويذكر الحموي أن الخليفة العباسي القادر بالله تقدم إلى أربعة من أئمة المسلمين في أيامه في المذاهب الأربعة أن يصنف كل واحد منهم مختصراً على مذهبه، فصنف له الماوردي (الإقناع)، وصنف له أبو الحسين القدوري مختصره المعروف بـ(الكتاب) على مذهب أبي حنيفة، وصنف له أبو محمد عبد الوهاب البغدادي مختصراً في المذهب المالكي وقدم له رابع مختصراً في مذهب الإمام أحمد لم يحضره اسمه[6].

5- قلة ذات اليد لبعض الطلب فتختصر لهم الكتب ليكونوا أقدر على شرائها.

6- حتى يسهل نسخه .

**رابعا- المراحل التي مر بها الاختصار:**

لم يأخذ الاختصار شكله الذي استقر عليه بل تدرج شأنه شأن سائر الفنون كالآتي:

1- اختصار العلماء لكلامهم كاختصار الإمام مالك لموطئه.

2- اختصار كتاب واحد من كتب العلماء؛ كاختصار المدونة لفضل بن مسلمة الأندلسي، وابن أبي زيد القيرواني، وتهذيب المدونة للبراذعي .

3- الاختصار مع الجمع كما فعل ابن شاس في كتابه "عقد الجواهر الثمينة" .

4- الجمع مع الاختصار بضغط الكلام، وتقليل الألفاظ بابتكار رموز مختصرة للكلام ومصطلحات خاصة . وهو آخر ما استقر عليه الاختصار.

**خامسا- المختصرات بين منتقديها ومؤيديها:**

اختلفوا في مدى صلاحيتها في المناهج التعليمية، وأثرها على التفكير سلبا وإيجابا.

أما المنتقدون فمنهم: الشاطبي وابن خلدون والونشريسي وعلي الطنطاوي والطاهر بن عاشور، وسأوجز انتقاداتهم في النقاط التالية:

-إخلال المختصرات بالبلاغة والتضحية باللفظة الفصيحة أو الجملة البلاغية لأجل الاختصار[7] .

- انقطاع الصلة بيننا وبين أمهات المذهب[8] .

- أنها تنقل المتعلم من مسائل العلم الحقيقية التي لأجلها وجد إلى تتبع ألفاظ المختصرات، فتأخذ وقتاً طويلاً لفهمها أولاً وينشغل بإشكالاتها التي لا تنتهي ولا فائدة منها ثانياً [9] .

- إضافة تقييدات لم توجد في المذهب [10] .

- لا يدرى ما زيد فيها مما نقص، ولا صحيحها من ضعيفها[11] .

أما المادحون للمختصرات فهم كثر نجمل ذكرهم لخصائص ومميزات المختصرات في النقاط التالية:

- إن العالم أثناء تدريسه يريد كتابا جامعا مختصرا فالمطولات يطول تتبعها

مع المعلم والطالب وتستوعب زمنا طويلا في التدريس وتشتت الطالب[12].

- بالمختصرات يبني طالب العلم قاعدة تعليمية صلبة يستطيع أن يبني عليها ويتوسع من خلالها.

- تفيد الطالب في تركيز المعلومات والتدرج في العلم ولذا نجد ابن قدامة ألف : العمدة (للمبتدئين)، المقنع (للمتوسطين ولا يذكر فيه الأدلة)، الكافي (الخلاف داخل المذهب بالدليل)، المغني (للمنتهين ذكر فيه الخلاف العالي).

- طول المصنفات يؤدي إلى انصراف الناس عن طلب العلم.

- حسن تصور الفقه وترتيبه في ذهن الطالب.

- كثرة الفروع المذكورة في المختصرات واستيعابه لكتب المذهب الطويلة[13].

- أنتجت لنا علماء بديل أن من درسوا عن المختصرات كانوا أكبر رجال الأمة.

الترجيح :

- نقول لا يوجد في الدنيا شيء خيره محض أو شره محض فما من شيء إلا وفيه مفاسد ومصالح، وإنما نفضل الشيء على قدر غلبة محاسنه عن مساوئه.

ثم نقول ما البديل عن المختصرات ؟! هل هي هذه المذكرات الجامعية التي قد يضعها من لا إلمام له بالعلم ثم يحفظها الطالب كالمختصرات ثم تتبخر؛ فلا ينبغي أن نحارب المختصرات وهي تقدم أفضل من البديل الموجود.

- ثم إن من لم يدرسوا عن المختصرات تجد الواحد منهم يعاني عناء كبيرا ما لم يعد لكل درس عدته، وفي الغالب لا يستطيع التدريس ما لم تكن أوراقه، وكتبه معه، ولذا عاد البعض على كبر لحفظ المتون مع أن أعمارهم لا تسمح بذلك.

**سادسا- بيان مراحل تطور المذهب** وأن المختصرات هي آخر حلقة في ذلك:

لقد تعرض المذهب لمراحل من التطور الاصطلاحي والعلمي منذ أن وضع أسسه الإمام مالك ولكل مرحلة أسس ومميزات تظهر في المؤلفات، ولا يجد الباحث في كتب المؤرخين كلاما صريحا واضحا يبين مراحل تطور المذهب إلا ما كان من بعضهم الذين اختلفوا في تصنيف هذه الأطوار لكنهم يتفقون أن مرحلة المتأخرين تبتدئ بتصنيف المختصرات، وهذه آراؤهم كالآتي:

الفريق الأول- قسم الأطوار إلى قسمين: جعل أول طبقة المتأخرين ابن أبي زيد[14].

الفريق الثاني- قسم أطوار المذهب إلى ثلاث[15] .

الفريق الثالث- قسم أطوار المذهب إلى خمسة[16] .

**سابعا- مختصرات المذهب التي لقيت قبولا:**

1- المنثور منها:

- مختصر ابن الحاجب (ت:646هـ).
- مختصر خليل بن إسحاق (ت:776هـ).
- مختصر ابن عرفة (ت:803هـ).
- أقرب المسالك للدردير (ت:1201هـ).
- المجموع للأمير (ت:1232هـ).
- مختصر الأخضري (ت:983هـ).

2- المنظوم منها :

- العاصمية أو تحفة الحكام لابن عاصم (ت: 829هـ).
- المرشد المعين لابن عاشر (ت: 765هـ) .
- أسهل المسالك لمحمد بشار.
- جواهر الإكليل في نظم مختصر خليل لخليفة بن حسن السوفي ( ت:بعد 1318هـ).

**ثامنا – تاريخ دخول مختصري ابن الحاجب وخليل للجزائر:**

أما مختصر ابن الحاجب فقد كان دخوله على يد أبو علي ناصر الدين المشدالي الزواوي (ت:646هـ) [17].

أما مختصر خليل فكان دخوله على يد محمد بن عمر بن الفتوح التلمساني (ت:803هـ)[18] .

تاسعا- جهود علماء الجزائر في خدمة مختصرات الفقه المالكي:

بعد تتبعي لكتب التراجم والأعلام - سواء منها العامة التي تترجم لعلماء الجزائر ولغيرها، أو تلك التي تفرد خاصة لعلماء الجزائر ككتاب "معجم أعلام الجزائر" لعادل نويهض، مع الاستعانة بالمكتبات الالكترونية-؛ تبين لي أن عدد المؤلفات في

خدمة المذهب المالكي عامة[19] حوالي ثلاث مائة مصنف أما في خدمة مختصرات الفقه خاصة فهي خمسون مصنفا.

وبالتتبع والاستقراء تبين لي أنه يمكن تقسيم تلك الجهود التي حظيت بها مختصرات الفقه المالكي من قبل علماء جزائريين إلى أربعة أصناف كالآتي:

1) الشروح والتعليقات والحواشي.

2) المنظومات.

3) إكمال النقص( أو ما يسمى بالتذييل).

4) الاختصار.

وسأكتفي من هذه الخدمات بما كان منها حول مختصري ابن الحاجب وخليل تفاديا للإطالة.

أولا- الشروح والتعليقات والحواشي:

1) على مختصر ابن الحاجب:

- إزالة الحاجب عن فروع ابن الحاجب لابن مرزوق الجد (ت:781هـ).
- تعليق على ابن الحاجب لقاسم بن سعيد العقباني(ت:854هـ).
- الثاقب في لغة ابن الحاجب لمحمد بن الحسن البركاني.
- شرح جامع الأمهات لعيسى بن مسعود الزواوي(ت:743هـ).
- شرح جامع الأمهات لابن مرزوق الحفيد(ت:842هـ) .
- شرح جامع الأمهات لعبد الرحمن الثعالبي(ت:875هـ).
- شرح جامع الأمهات لعبد الواحد الونشريسي(ت:816هـ).
- شرح جامع الأمهات لسعيد بن محمد العقباني(ت:811هـ).
- شرح جامع الأمهات لمحمد بن محمد التلمساني(ت:بعد 799هـ).
- شرح جامع الأمهات لأحمد بن إدريس البجائي(ت: بعد 760هـ).

2) على مختصر خليل:

-تسهيل السبيل لمقتطف أزهار روض خليل لإبراهيم الزواوي(ت:857هـ).

-تحفة المشتاق في شرح مختصر خليل بن إسحاق للشارح السابق.

-تعليقات على خليل ليحي العلمي(ت:888هـ).

-تكملة لشرح السنهوري لمصطفى العجمي(ت:1240ه).

-حاشية على شرح الشبرخيتي لعمار الراشدي(ت:1251ه).

- حاشية على شرح الخرشي الكبير لمحمد بن أحمد المعسكري(ت:1238ه).

- حاشية على شرح العدواني على خليل لمصطفى الرماصي(ت:1136ه).

- شرح خليل لعبد الرحمن الثعالبي(ت:875ه).

-مغني النبيل في شرح مختصر خليل لمحمد بن عبد الكريم المغيلي (ت:909ه).

- المنزع النبيل في شرح مختصر خليل لابن مرزوق الحفيد(ت:842ه).

-ياقوتة الحواشي في حل ألفاظ الخراشي محمد بن عبد الرحمن التلمساني (ت:ق13ه).

- الكفيل شرح نظم الشيخ خليفة بن حسن السوفي على مختصر خليل للشيخ باي بلعالم[20] .

ثانيا- المنظومات:

جواهر الإكليل في نظم مختصر خليل لخليفة بن حسن السوفي (ت:بعد1318ه).

ثالثا – إكمال النقص:

- التبريج في أحكام المغارسة[21] لمحمد بن على المجاجي(ت:1200ه).

رابعا- الاختصار:

- مختصر عبد الرحمن الأخضري(ت:983ه).

- المجموع في الفقه لعبد الله بن محمد التلمساني(ت:644ه).

- المصباح في الفقه والآداب لعبد العزيز الثميني(ت:1223ه).

وبعد فهذه لمحة وجيزة عن "المختصرات في الفقه المالكي وجهود علماء الجزائر في خدمتها". والله أسأل أن يكلل عملنا هذا بالتوفيق والنجاح، وأن يجعل بلادنا آمنة مطمئنة سخاء رخاء وسائر بلاد المسلمين.

**ـ الهوامش:**

1 - ينظر: -"معجم مقاييس اللغة" لابن فارس(189/2) . ط دار الجيل، بيروت .

- "تاج اللغة" للجوهري، مادة : خصر، باب الراء فصل الخاء، (531/1). ط دار الفكر، بيروت.

- "القاموس المحيط" للفيروز آبادي، باب الراء فصل الخاء، (545/1). ط دار إحياء التراث

العربي، بيروت.

2 - ينظر: - "مواهب الجليل لشرح مختصر خليل" للحطاب(24/1) ط دار الفكر، بيروت.

- "حاشية العدوي على الخرشي على مختصر خليل" (65،66/1) ط دار الكتب العلمية، بيروت.

- "حاشية الدسوقي على الشرح الكبير"(35/1) ط دار الكتب العلمية، بيروت.

3 - رواه أبو يعلي الموصلي في " مسنده الكبير " كما في " المطالب العالية " 208/9 ( 4261 ) .

وأخرجه : العقيلي في " الضعفاء " 21/2، وضعفه، ونقل عن الإمام البخاري تضعيفه للحديث، وانظر: التاريخ الكبير 191/2 .

وأخرجه : عبد الرزاق ( 10163 )، ومن طريقه البيهقي في " شعب الإيمان " ( 5202 ) عن معمر، عن أيوب، عن أبي قلابة، عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - بلفظ : « إنما بعثت فاتحاً، وخاتماً، وأعطيت جوامع الكلم، وفواتحه، واختصر لي الحديث اختصاراً، فلا يهلكنكم المتهوكون ». وفيه قصة.

وأخرجه: البيهقي في "شعب الإيمان" (1436) من طريق الأحنف بن قيس، والمقدسي في "المختارة" 215/1 (115) من طريق خالد بن عرفطة ؛ كلاهما عن عمر بن الخطاب- رضي الله عنه - بنحوه .

وأورده العجلوني في " كشف الخفاء " 15/1 وقال : « رواه العسكري في " الأمثال " عن جعفر بن محمد، عن أبيه، مرسلاً بهذا اللفظ ؛ لكن في سنده من لم يعرف ».

4 - يقول ابن الحاجب في مختصره في أصول الفقه : "فإني لما رأيت قصور الهمم عن الإكثار، وميلها للإيجاز والاختصار صنفت مختصرا في أصول الفقه" . "رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب" لتاج الدين أبي النصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، تحقيق : علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود (288/1)، ط1، دار عالم الكتب، بيروت - 1999 م - 1419هـ .

ويصف ابن الجوزي تدهور الهمم في زمانه بكثير من الأسف فيقول: "...وهمم هؤلاء الطلاب ضعفت فصاروا يطلبون المختصرات، وأعوذ بالله من سير هؤلاء الذين نعاشرهم لا نرى فيهم ذا همة عالية فيقتدي به المبتدئ، ولا صاحب ورع فيستفيد منه الزاهد ". "صيد الخاطر" (ص366) ط دار الكتب العلمية، بيروت .

5 - أي : سقوط بغداد في يد التتار، والأندلس على يد الصليبيين.

6 - ينظر : "معجم الأدباء" (54/15).

7 - ذكره ابن خلدون في "مقدمته " (ص443)، وأجرى علي الطنطاوي في "ذكرياته" (43/2) مقارنة بين جمع الجوامع والتحرير مع كتاب المستصفى للغزالي.

8 - ذكره الونشريسي في "المعيار المغرب" (479/2).

9 - ذكره الطاهر ابن عاشور في كتابه "أليس الصبح بقريب" (ص165-167) حيث قال: ...فأصبحت الأوقات تضيع في الخلاف حول مقاصد مؤلفها وخصومات في الألفاظ والعبارات لا في المسائل العلمية الحقيقية".

10 - الونشريسي "المصدر السابق" (479/2).

11 - قال الشاطبي: " ...[على الطالب]أن يتحرى كتب المتقدمين من أهل العلم ؛ فإنهم أقعد من غيرهم من المتأخرين، وأصل ذلك التجربة والخبر.

أما التجربة: فهو أمر مشاهد في أي علم كان، فالمتأخر لا يبلغ من الرسوخ في علم ما يبلغه المتقدم، وحسبك من ذلك أهل كل علم عملي أو نظري؛ فأعمال المتقدمين - في إصلاح دنياهم ودينهم- على خلاف أعمال المتأخرين، وعلومهم في التحقيق أقعد، فتحقق الصحابة بعلوم الشريعة ليس كتحقق التابعين، والتابعون ليسوا كتابعيهم، وهكذا إلى الآن، ومن طالع سيرهم، وأقوالهم، وحكاياتهم؛ أبصر العجب في هذا المعنى.

وأما الخبر؛ ففي الحديث: "خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم"، وفي هذا إشارة إلى أن كل قرن مع ما بعده كذلك .

12 - ويظهر ذلك فيما لو أجرينا مقارنة بين المدونة ومختصر خليل في بعض المسائل .

13 - ذكر محمد الحسن الحجوي في "الفكر السامي" (243/2) أن خليل فيه مائة ألف مسألة منطوقة ومثها مفهومة، وقال: "...وبعظم قدر المختصر حين نعرف أن رسالة ابن أبي زيد بها أربعة آلاف مسألة" .

14 - قاله الدسوقي في " حاشيته على الشرح الكبير" (26/1).

15 - وهم محمد الفاضل ابن عاشور في كتابه البديع"أعلام الفكر الإسلامي في تاريخ المغرب العربي" (ص70). وتبعه الدكتور محمد إبراهيم علي في كتابه الفذ"اصطلاح المذهب عند المالكية" (ص32). وهي : النشوء، التطور، الاستقرار.

16 - ومنهم الدكتور محمد رياض في كتابه "أصول الفتوى والقضاء في المذهب المالكي" (ص101-103). وهي: التأصيل، التفريع، التطبيق، التنقيح، الجمع والاختصار.

17 - ينظر: "نفح الطيب" للمقري (327/5).

18 - ينظر: "نيل الابتهاج" للتنبكتي (ص114).

19 - أي بكتب الفقه وأصوله والقواعد الفقهية والفتاوى والنوازل.

20 - توفي سنة 2009 في شهر أفريل بعد حضوره ملتقى الفقه المالكي بأسبوع . أسأل الله أن يرحمه رحمة واسعة.

21 - إذ أن خليل في مختصره غفل عن كتاب المغارسة.